فلسفة الإصـــلاح بين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده
دراسة مقارنة

م.د. أحمد هاشم علوان

الملخص:

إنَّ حالة الشرف العقلية والاجتماعية والسياسية في القرن (١٨) قد بلغت القمة في التأخير والانحطاط بسبب الجهل، حيث كانت تعيش البلدان الاسلامية في أوهام وخرافات وبدع سيئة والشرق الاسلامي يئن تحت المظالم والجهل والاستبداد.

وكانت اوربا قد بدأت تستيقظ وتأخذ بعد اكتشاف أمريكا وأفتتاح طريق الهند طريق التقدم واذا نظرنا الى التاريخ الاسلامي نجده حافلا بجهود الاصلاح والتجديد وأبرازها ما جاء به الغزالي، وابن تيمية، وجمال الدين الافغاني، ومحمد عبده، وعبد الحميد ابن باديس، وان واقع العالم الاسلامي عند ظهور الشيخين جمال الدين ومحمد عبده في القرن التاس عشر كان يتجسم في علم ناقص يعتبر أشد خطرا من الجهل البسيط.

الكلمات المفتاحية: (فلسفة الإصـــلاح، جمال الدين الافغاني،محمد عبده).

The philosophy of reform between Jamal al-Din al-Afghani and Muhammad Abduh
A comparative study

dr. Ahmed Hashem Alwan

Abstracts:

The state of mental, social and political honor in the ١٨th century has reached the peak of delay and decline due to ignorance, as the Islamic countries were living in delusions, myths and bad heresies, and the Islamic East was groaning under grievances, ignorance and tyranny.

And Europe had begun to wake up and take after the discovery of America and the opening of the road to India, the path of progress. If we look at Islamic history, we find it full of reform and renewal efforts, and its highlight is what Al-Ghazali, Ibn Taymiyyah, Jamal Al-Din Al-Afghani, Muhammad Abdu, and Abdul-Hamid Ibn Badis

brought. The appearance of the two Sheikhs Jamal al-Din and Muhammad Abduh in the nineteenth century was embodied in imperfect knowledge that was considered more dangerous than simple ignorance.

Keywords: (philosophy of reform, Jamal al-Din al-Afghani, Muhammad Abdo).

المقدمة:

تلخيص أسباب تخلف المسلمين الى:

التخلف الفكري :- مجادلات لفظية لا تغني، معلومات دينية شكلية، ولا يعرف من العلوم الحديثة الا الحساب البسيط وقبس من فلك قديم يستدل به لأوقات العبادة، والتعليم في الازهر حشد أدمغة دون النقد والتفكير والاستنتاج والاستنباط .

تزمت رجال الدين :- باب الاجتهاد ومغلق، وكل اجتهاد بدعة، واما الدين فاصبح شعائر ظاهرية لا تمس القلب ولا تحيي الروح... وبهذا الوضع ثار الشيخين للإصلاح الشامل لكنهم اختلفا من بعد واختار كل واحد منهم طريقته، فكان الشيخ جمال الدين قليل التأليف كثير الكلام واعداد العقول وتربية النفوس فكان منهجه شبيها بمنهج سقراط الى حد ما .

أما الشيخ محمد عبده فكان كثير التأليف واهمل نوعما محاورة الجماهير...

الاشكـالية:-

قمت بتسليط الضوء على حجز الزاوية في الفلسفة الاسلامية وهي (الاصلاح) في القرن التاسع عشر بين هذين الشيخين لان هذه الفترة كانت تعبر عن تحولات جذرية في العالم الاسلامي الذي استيقظ من نوم عميق ...

الهدف من البحث:-

أردتُ بهذا البحث تسليط الاضواء على الكيفية التي وقع بها هذا الاصلاح ومدى تأثيره على تطور المدرسة الأصلاحية من خلال الطريقة الثورية لجمال الدين ومحمد عبده وأيهما أسلم ولها الاثر في العالم الاسلامي .

معنى الاصلاح في القران الكريم:-

" لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس " هنا الاصلاح من الخير....

" ان اريد الا الاصلاح ما استطعت، وما توفيقي الا بالله، هنا ارادة الاصلاح، امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر"...

" وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون " [١]

اغلبهم مصلحون في الارض متجنبين الفساد ... ويبدو ان كل مصلح ينظر الى إصلاحه من زاويتة وحسب مفهومة ... ويمكن القول بان فكرة (الاصلاح نسبيه وجليله في حد ذاتها تختلف باختلاف الظروف والوقت والبيئة .

المبحث الاول: فلسفة الاصلاح عند الشيخين.

عند الشيخ جمال الدين :- تتسم فلسفته الاصلاحية بالمنطق الفعلي نتيجة الازمة العقلية والتي كان المسلمون يعانون منها في عصرة، كانت مزيجا من النصوص والفلسفة القديمة والحديثة وكان له رأي اخر في العلوم العقلية، وقد وضع العقل في مكانته الحقيقية، نراه يقول " فالحكم للعقل والعلم" حتى وان كانت حقائق العلم واحكام لعقل لا ترضي العامة الذين يساندون رجال الدين وتجار الديانات ذلك لان العقل لا يوافق الجماهير))[٢]

لم يكن جمال الدين الافغاني صاحب نزعه مثالية ساذجة وانما اراد ان يبين وجه نظر ناضجة عن العلاقة بين الفكر والمادة ، وبين الفكر والتطبيق: ((ان الملاحظة تحدث عن طريق الفكر ...فكل شهود يحدث فكراو كل فكر يكون له اثر في داعية يدعو اليها ...اخر الفكر اول العمل ، واول العمل اخر الفكر))[٣]

يرى الشيخ ان المسلمين ما صاروا امه الا بحسن فهمهم لدينهم وما ضعفوا الا بانحرافهم عنه ، وقد سئل عن الطريقة القومية التي ينبغي سلوكها للوصول الى التمدن الذي وصلت اليها اوروبا، فقال :" لابد من حركة دينية لأننا اذا نظرنا في سبب انقلاب حاله عالم اروبا من الخشونة الى المدنية نراه الحركة الدينية)) ٣

فلابد من بث العقائد الدينية الحقه وتهذيب العلوم وتأليف كتب فيها قريبة المأخذ ، سهلة الفهم التعزيز الدين وتقوية الامة ... انه يريد دينا يتلاءم والنهضة الحديثة للقرن التاسع عشر وعلى الشرق ان يتعلم علوم وفنون أوربا المفيدة لاعن طريقة التقليد، بل بنظرة فكرية شاملة، وأن فكرة المدنية ما دخلت الشرق ألا عن طريق جمال الدين الافغاني، ويعتقد جمال الدين أن المدنية مرتبطة جوهريا بتعاليم الاسلام الصحيحة لأنه يأمر بالتضامن والمسؤولية المشتركة وهما سر قوة الامم المتقدمة (فكرة الشورى) .

عند الشيخ محمد عبدة : ان للدين والعقل مكانه بارزة في فلسفته فهي تتجلى في اغلب مؤلفاته خصوصا في رساله التوحيد ويقول ان العقل وحدة لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهي ... وكذلك الدين هو حاسة عامة للكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات ،والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة بتصريفها فيما منحت لأجله))١ فهو يؤكد بان الاسلام يعتمد على العقل حيث رفع القران من شأنه ومن خلاله يمكن التمييز بين الحق والباطل والضار والنافع، الوصول الى معرفة الله والوصول بان لهذا الكون صانعا قادرا على كل شيء ...

هناك يقدم الشيخ العقل على النقل عند التعارض بينهم ... وهم السبيل الذي لم يسلكه المسلمون من قبل، فهو يقاوم التقليد والجمود: " لقد ارتفع صوتي لتحرير الفكر من قيد التقليد))[٤]

يقول الشيخ محمد عبده ايضا في مسالة العقل :"ان الامم ما سقطت من عرش عزها ... الا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها لله على اساس الحكمة البالغة، من نور العقل ، والفكر والبصيرة: " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا اما بنفسهم ...الانفال ٥٤))٣

لقد كان الشيخ محمد عبدة يدعو الى اصلاح العقلية والعقيدة والاخلاق ويكافح العادات والتقاليد السيئة وينتقد البدع والمعتقدات الفاسدة ويسعى الى اصلاح التعليم الازهري والمحاكم الشرعية :-

يقول العقاد : " فاذا اردنا ان نجعل فلسفة الاستاذ الامام حدا فاصلا بينه وبين مخالفيه الاقدمين ...هو القدرة على حسم الجدل العقيم بالرجوع الى حكم العقل السليم ...ولا داعي للجاجة اللفظية والتهالك على الزبد وترك ما ينفع الناس))[٤] .

المطلب الاول: أوجه الشبه والأختلاف عند الأثنين من الجانب الديني والفلسفي وإصلاحها .

الاتفاق في :.

١- **الاجتهاد في الدين** :- الاجتهاد في الدين مفتوح ولكن له شروط ينبغي ان تتوفر في المجتهد ، كذلك نفس الموقف عند الداعية محمد اقبال الذي كان ينظر الى الاسلام على انه دين متطور ولكن اصوله ثابته .

٢- **التأويل في القران** :- اتفق الشيخان على التوفيق بين العقل ومعطيات العقيدة الاسلامية والمنجزات العلمية قال الشيخ جمال : "ان القران يجب ان يحد عن مخالفته للعلم الحقيقي ، خصوصا في الكليات ، فاذا لم نر في القران ما يوافق صريح العلم ، والكليات، اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ورجعنا الى التأويل "[٥]

٣- **استخدام العقل** :- هنا الشيخان غير متفقان، فالشيخ محمد عبده يعترف مع ابن خلدون بان للعقل البشري حدودا لا يمكن تجاوزها خاصة في المجال الديني، يقول ابن خلدون : " العقل ميزان صحيح غير انك لا تطمع ان تزن له امور التوحيد والاخرة والنبوة وكل ما وراء طوره "[٦] .

وفي قول محمد عبده ما يؤيد ذلك عن غاية كمال العقل الانساني :" انما هي الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الادراك الانسان حسا كان او وجدانا او تعقلا واما الوصول الى كنه حقيقيه ما، ضما لا تبلغه قوته[٧] ."

هنا ترى ان جمال الدين مجد العقل لزرع الثقة في النفوس لأحياء عوامل المقاومة في الاقطار الاسلامية وهو موقف ثوري بالمعنى الدقيق، اما محمد عبدة فيبدو انه يتحرك في اطار اضيق ،محصور في الشريعة وبلده مصر .

المطلب الثاني: التصوف ومفهومه في نظر جمال وعبدة

الافغاني :- كان يميل الى التصوف فعندما يتكلم عن قناعه كان يشير الى صدره كمكان لكتبه ، وعن ملابسه يقول :- " لما توالى النفي صرت استثقل الجبة الثانية، فأترك التي على الى ان تخلق فاستبدلها بغيرها"[٨] .

كانت نزعته الصوفية ايجابية عاش عزبا لأنه كرس جهوده للنهوض بالعالم الاسلامي لا لتكوين اسره، وفي هذا السياق يقول :- "السجين يطلب الحق من الظالمين رياضة والنفي في ذلك السبيل سياحة، والقتل شهادة، وهي اسمى المراتب[٩] .

ويمكن من خلال ذلك ان تقول ان النزعة الصوفية عنده ليست هي الغالبة لولا غلبة النزعة العقلية عنده فوفت من حسابات تلك ...

محمد عبده :- كانت في بداية حياته ميوله المبالغ فيها في التصوف واعتزال الناس الذين لا يعرفهم لما تأثرت به نفسه من تعاليمها لولا الشيخ درويش (خال ابيه) طلب منه هو الاخر كونه من مشايخ الصوفية ان يخرج من عزلته ويندمج في الاوساط الاجتماعية وكان الفضل الاكبر لجمال الدين الافغاني في انقاذه من غمرات التصوف واقناعه بالعمل في ميدان العلم، كالتفسير مع التصوف كما قال : " قرة عين ومفتاح سعادتي[١٠] .

هكذا مع العلم تغير محمد عبدة واصبح ينظر الى العالم بتصوف بمعنى اخر، فبدا يكتب في الاهرام، والف كتبا تدل على اهتماماته بالعلوم والدعوة والاصلاح ....

هكذا كان جمال الدين حر التفكير، قويا على الجدل ، وقد تحدث لكثير من المفكرين ، مما جعل بعضهم يؤكد ان الافغاني يميل من حين الى اخر الى الالحاد او الكفر !..

المطلب الثالث : موقف جمال الدين الافغاني من ألالحاد

أتُهِمَ بالكفر عند شيوخ تركيا كذلك الآزهر وبالألحاد عند الفيلسوف الفرنسي رينان ...ذلك لأنه لم يكن من المتزمتين في وقته والمبالغين في تزمتهم ، يقول في ذلك الشيخ محمد رشيد رضا :" يان الناس ولعوا منذ قرون كثيرة بان يتهموا بالكفر والالحاد كل نابغ في العلوم العقلية بل كل مستقل في العلوم لا يتبع الناس في جميع ما درجوا عليه من التقاليد الدينية، كأبن سينا وابن رشد (فلاسفة) ومحي الدين ابن عربي (الصوفيه) ، والغزالي (فلسفة وتصوف)[١١]

- "ان جمال الدين الافغاني الذي جمع الى بصيرته النافذة في حياة الاسلام الملية، وحياته الفكرية تجربة واسعه بأنواع كثيرة من البشر وعاداتهم واخلاقهم وكانت مقاصده ومرامية بعيدة

المدى لذلك لم يكن من الصعب ان تصبح شخصيته الكريمة حلقة اتصال بين الماضي والمستقبل[١٢]" .

- ان الافغاني كان يفرط في الصراحة ولا يكتم ما يعتقد، كان يكره التقليد ويطالب بالتجديد والاجتهاد، ولهذا التفكير صار غير مرغوب من قبل المتزمتين ، فهو يقول :" ان الدين لا يصح ان يخالف الحقائق العلمية فان كان ظاهره المخالفة وجب تأويلة .."[١٣] .

- ان منهج محمد عبدة يمتاز بطابع خاص في الفهم والتحقيق ، وهو عقليً عملي ، اقتبس جُلً افكار استاذة جمال الدين الافغاني ولكن اسلوب الرد عنده كان يتسم بالاعتدال في التفكير والسلوك، ويركز على الجانب العقلي: " اذا نشأ نزاع بين العقل والمنقول، فالى العقل يعود الحق بالحكم[١٤].

المطلب الرابع :الموقف السياسي عند الافغاني

كان من أسرة سياسيه افغانية مناهضة للانجليز وصل عن طريق الامير (محمد اعظم خان) الى مرتبة الوزير الاول وبعد مجيئ خصمه (الشير علي) وهو في خدمه الانجليز اضطر الى مغادرة الوطن .. وأجبر على مغادرة الهند ومصر والاستانة، نسبه يعود الى الامام الحسين .. كان في بلده معاديا للانكليز لكونهم يعادون المسلمين على عكس ما ظن تلميذه (محمد عبدة) ، جاء الى مصر ١٨٧١ وقضى بها ايام مجده وكان محركا لعملية الثورة وابا للنهضة المصرية (ثورة عرابي، ثورة في الازهر) .

ثم دخل الهند ١٨٧٩فوجد الانكليز يحتضنون المثقفين الذي يدعون (للثقافة الدينية وتطوير الفكر الاسلامي ويفصلون ما بين الثقافة والنهضة، وما بين العداء والاستعمار والكفاح ضدة... وكذلك مع الماسونية حيث لمس الخيوط التي تربطها بالاستعمار وان الاتها لم تستعمل الا لهدم القيم والمبادئ الاصلية، كذلك مع ايران حينما دخلها ١٨٨٦ والتمس مظالم الشاه (ناصر الدين)قاد ضده وضد الانكليز ومصالحها هناك حركة ادت الى اصدار فتوى من (المجتهد الشيرازي) بتحريم تدخين (التمباك) مما ارغم الانكليز الى العدول عن المشاريع الضارة في ايران... كذلك اعتراضه على القيصر بشان الشاه الايراني، حيث لم يعجب القيصر أراء

الافغاني فأذن له بالانصراف سنة (١٨٧٧) عندما قال الافغاني رايه " ☹((أنه خير للملك (اي شاه ايران) ان تكون ملايين رعيته أصدقاءه من ان يكونوا اعداد يترقبون له الغرض))[١٥]

هنا ذكرنا بعض النقاط البارزة السياسية في حياة الافغاني لكنه يختلف مع صديقه محمد عبده في نقطة هامة جوهرية سنذكره لاحقا:

الافغاني والجامعة العربية.

عند الافغاني هناك معايير ينطوي عليها شعار الجامعة الاسلامية التي طالما ناضل على تأسيسها :

١- موقف الجامعة من الزحف الاستعماري .

٢- موقف الجامعة من القوميات

ان يستهدف اصلاحية شاملة، ويرى ان سبب المحنة يرجع الى ان اولياء امور المسلمين مختلفون فيما بينهم، مطاعون للمستعمر، جادون في خدمتهم ...فهو يدعو اولياء الامر ان يحفظ بعضهم البعض ما استطاع، فان بقائه ببقائهم ... وهذا ما تقضي به ضرورة الدين ... كما ويعيب الافغاني على كثير من مفكري الغرب من هجومهم الظالم على المسلمين ورميهم بالتعصب.

من خلال ذلك يمكن القول بان الافغاني كان سياسيا واقعيا يعطي العوامل الوحدة الاسلامية حقها ولاينكر التمايز القومي بين المسلمين ... فهو لا يتفق مع تلميذه الشيخ محمد عبده كونه يؤكد على الجانب القومي ويرى بان الاصلاح يتم عن طريق التدرج اي بعد مدة من الزمن، ولهذا قام بمهادنه الاستعمار الانجليزي عكس مافعل الافغاني الذي كان شديد العداء لهم خصوصا لما استعمروا الهند ومصر ومزقوا القبائل واشتروا الضمائر وامروا عملائهم الضعفاء بمنحهم الالقاب وسلبهم ملكهم وحقوقهم فهم كما عرفهم الانكليز في سكرة من لذة ما بقي لهم وفي ذهول عما سلب منه... ان من المخطط الاستعماري كما لاحظ الافغاني هو اضعاف لغة الشعوب المستعمرة وتحقيرها مقابل ابقاء اللهجات القومية لدى المسلمين وذلك من طريق تجييش طائفة من

المرتزقة لتعميم هذا الشيء ... وتعلم اللغة الاجنبية عند جمال ضروري لأعداء القوة للخلاص من المستعمر، كونه قد تعلم الفرنسية والانكليزية في وقته... وهاجم بها الفرنسيين والانكليز....

المطلب الخامس :كفاحـــه ونضاله ضد الانكليز .

من الملاحظ انه قصر طلبه على تدعيم التقدم الاجتماعي في روسيا وتغافل عن حق هؤلاء المسلمين في بعث حركة سياسية تقودهم الى الاستقلال السياسي،...لقد كانت نقطة ضعف الافغاني انه كان يلتمس العون من كل الذين بينهم وبين بريطانيا صراع، كالروس والفرس والافغان والهند فهو يريد اشتراك روسيا مع الهند والفرس والافغان ضد الانكليز ... وموقفه السلبي ذاك يرجع الى كرهه الشديد للانكليز ويريد التخلص منه يأتي ثمن .

أن مقصد الافغاني السياسي هو تشكيل دولة اسلامية قائمة بشؤونها، اساسها القران متوحدة ولوان الهدف كان صعبا للأسباب التي ذكرنا سابقا... ومن اخطاء الافغاني رغم ثقافته العالية قد تصور النهضة الاسلامية تصورا كميا (دعوته الى اهل الهند) لا كما اكدها مالك بن نبي ان تدخل في عالم الافكار اي كان تصوره كميا لا كيفيا وهذا يمكن ان يكون خطا في منهجيته مما ادى التطور الاقتصادي الى ازدياد حاجات العالم الاسلامي دون تنمية الوسائل، ان الافغاني كان ابعد نظرا من الشيخ محمد عبده لأنه تنبا قبل الاوان بان انجلترا لو استطاعت ان تخرج قوما من المسلمين لكي يستبدل بهم قوما غيرهم لفعلت كما فعلت بطرد المسلمين من فلسطين واستبدالهم باليهود (وعد بلفور).

المبحث الثاني

محمد عبده وعلاقته بالسياسة والآراء المختلفة بينه وبين الافغاني

- كان في بدايته مندفعا وراء التيار السياسي والاجتماعي موجها خدمته للشعب المصري، خصوصا بعد اتصاله بالشيخ جمال الدين، ونيله الشهادة العالمية / الدكتوراه واتصاله بالصحافة بعد تعيينه محرر اول لجريدة الوقائع المصرية ...كان ينتقد ثورة (عرابي) لأنه من انصار (رياض باشا)، كان ناقدا للشؤون الاجتماعية والعادات الدينية ولكن لا يدلي برايه بصراحة فما يتعلق بالقضايا السياسية انسجاما مع الوظيفة وافكار (رياض باشا) معتقدا بالتدرج في الاصلاح السياسي وان الامور السياسية تعالج مع الزمن بدون تسرع ... وانه كان لايرضى ان تكون الثورة

والتغييربيد العسكريين مثل (عرابي) وكان بينهما جدل كبير ، ولكن وبصورة غير مباشرة يعتبر مشاركا في الاصلاح مع ثورة (عرابي) من خلال معالجة الاحوال الاجتماعية المصرية في الصحافة، فصارا مصدرا هاما لشعور الناس بسوء حال مصر رغم اختلافه مع غيره في طريقة إلاصلاح ... لذلك عندما فشلت الثورة حكم عليه بالنفي الى بيروت ... وقال محامي الدفاعي عنه (مستر برودلي):" وقد ساعد في جعل الراي العام دافعا حقيقيا الى الترقي المصري ، ولم يكن متعصبا ولا جاحدا ولا مستهترا بآداب الدين ... ولاريب عندي ان اخلاق محمد عبده تعتبر مثلا حقا للقوة الفعلية والتفكير العظيم[١٦] .

- بعد نفيه الى لبنان دعاه جمال الدين الافغاني الى باريس ١٨٨٣ للتشاور في قضية الاصلاح ... وعندما يئس محمد عبده من الجيل المناضر له بعد فشل ثورة عرابي وتيقن من قله وفاء الناس وتكالبهم على المصالح الشخصية طلب من شيخه جمال الدين ان يؤسسا بعيدا دون رقابة سلطان مدرسة للزعماء يختاروا لها تلاميذ مسلمون يقومون بترتيبهم واعدائهم للإصلاح ...لكن هذا الري لم يعجب جمال الدين واجبره على تنظيم جمعية (العروة الوثقى)السرية والسياسية واصدار جريدة باسمها ، وكان التوجيه والافكار والمخطط للسيد جمال ، والتحرير والصياغة وتفصيل المعاني للشيخ محمد عبده.

المطلب الاول: محمد عبده والعروة الوثقى

١- الجريدة ومنهجها:- من خلالها تم توضيح موجبات السقوط وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس عما هو ات ..وتهتم بدفع التهم الباطلة ضد المسلمين والمصلحين، وتسعى الى تقوية الصلات بين الامم بالمنافع المشتركة والسياسات القويمة، فان لهذه الجمعية قانون ويمين يؤدى من كل منتمي اليها ومن اهداف الجريدة احياء الامل في النفوس وان طريق النهوض ليس بصعب. لقد منع الانكليز الجديدة من دخول مصر والهند لكونها تناهض الاحتلال الاجنبي، لقد وجدت الجريدة في شعوب الشرق اذانا صاغيه وواعيه تؤمن بما جاء فيها ورغبه صادقه للسعي في تحقيق ما يناضل من اجله الشيخين (رحمهما الله تعالى) ولأسباب مادية وسياسية وبعد ١٨ عددا توقفت الجريدة عن الاصدار ١٨٨٤ اكتوبر لكنها تركت اثرا بالغا في تنمية الروح الوطنية في الامم الاسلامية

- لقد قام الشيخ محمد عبده من بعد مصلحا للمحاكم الدينية والاوقاف بعد ماعين مفتيا سنة ١٨٩٩ لمصر، وصارت فتاويه تسعى لتفسير الاسلام تفسيرا يتفق وحاجات العصر...من هنا يمكن القول ان محمد عبده رغم انه كان زعيما دينيا ومصلحا سياسيا فقد كانت افكاره موجهه الى محاولة التخلص من الانكليز عن طريق التدرج والمهادنة، اما استاذة الافغاني فكان خلاف ذلك ومن هنا وقع سوء الفهم في وجهات النظر بينهم .

المطلب الثاني : موقف عبدة من الانكليز .

يختلف موقفه عن شيخه الافغاني الذي يرى "ان اصلاح المحاكم يؤدي حتما الى ازدهار الشعب" فكان يستعيذ بالله من السياسة وقد اتهم بالضعف والتخاذل، يقول عنه عثمان امين[١٧]: " ان كان الشيخ محمد عبده في اول امره قد حمل على الانكليز في جريدة العروة الوثقى في منفاه ، فقد كان مرفوعا بحماسه الشعب ومرارة النفي ومتأثرا بآراء استاذة جمال الدين الافغاني ، لكن بعد عودته الى بلده وفشل الدعوة الى الثورة الاسلامية تحدث عن اراءه ومال الى الاعتدال والتدرج عن طريق التعليم والتربية الدينية والاجتماعية)).

وقد نالت دعوة الشيخ محمد عبده هذه في الاصلاح قبولا شعبياً ومن الجانب الانكليزي ايضاً فقد كان اللورد كرومر يستشير الشيخ في شؤون النيابة العامة والمحاكم الاهلية وغيرها ، ومن آراءه :

١-يجب ان لا يكون للجانب الخديوي سلطة في عمل الهيئات التنفيذية للنظارات ولإدارة الاوقاف والازهر ولا المحاكم الشرعية .
٢-ان يوضع قانون لنظارة المعارف ويخصص له النفقات .
٣- يجب ان يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالي لسن القوانين الجديدة ،ولكن على نظام اقوم ، اعضاؤه الوزراء وكبار الموظفين ، وليس هناك ما يمنع انتظام الموظفين الانكليز فيه .

ويقول ايضا " ان من اول الضروريات لحسن الادارة المصرية وهو قيام الحكومة الانكليزية بضمان النظام في البلاد وكفالته ... "

ولولا هذه السياسة مع الانكليز لما امكن ان يعيش محمد عبده في مصر ، واذا لم يخرجوا الانكليز لأخرجه الخديوي كما اخرج جمال الدين الافغاني من قبل ... (١٨)

يقول الشيخ محمد عبده في شأن جمال الدين الافغاني : " لو أن الافغاني تقرب من السلطات في تركيا بمقدار ما يمكنه من الاصلاح في التربية والتعليم من غير التعرض لفساد حاشيته لكان افضل ولما اخفق مسعاه ... " (١٩)

ومن الملاحظ عند محمد عبده ينبغي ان يبدأ الإصلاح بالعقل عن طريق التهذيب والنظر الى الدين نظرة سماحة ويُسر، واما استقلال الشعوب فيأتي فيما بعد لأن العلم عماد الاستقلال وعن طريق العلم أتت المدنية الحديثة ، ولنأخذ من المستعمر ما نستطيع ان نأخذه عن طريق الاقناع والمسالمة ، والزمن كفيل بإظهار النتائج .

المطلب الثالث: وجه الاختلاف بينهم لمفهوم الأ صلاح السياسي :

أتسم نشاط الافغاني بالطابع السياسي بعيداً عن معاني الاستسلام والجمود ، واما محمد عبده فأصبح يشك في الاصلاح بمفهومه السياسي ورجع الى الاصلاح الفكري والتربوي لرفع الوعي الاجتماعي في العالم الاسلامي ، ويبدو ان محمد عبده قد بالغ في تشاؤمه في الجانب السياسي ، وبالغ في المجال الديني وبما يلبي حاجت العصر . والخلاصة ان الشيخين يتفقان في الغاية ويختلفان في الوسيلة . لقد كان الافغاني ينظر الى الشعوب الاسلامية ككل متكامل وهذا غير صحيح (مشكلة اللغات واللهجات والجنس) ولا يستطيع المصلح ان يَبّت في هذا الامر الصعب بينما الهدف الاسمى عند محمد عبده الذي جعله في الطليعة وهو اصلاح الاسلام وامداده بالقوة والحياة ... وان علاج امراض الشعوب الاسلامية هو الرجوع الى الاسلام الصحيح ...

المبحث الثالث

((مفهوم الأصلاح الاجتماعي في نظر الشيخين))

الافغاني : لا سبيل الى ايقاظ المسلمين الا بتعليمهم وتثقيفهم لان الجهل عقبة في تأليف وتنوير القلوب .

محمد عبده : يتفق مع استاذه الافغاني فيرى ان شفاء الامة لا يتم الا عن طريق التربية والتعليم ومكافحة العادات والتقاليد السيئة والبدع والمعتقدات الفاسدة حتى في التعليم والدعوة الى التفكير

منذ الطفولة دون حشو الادمغة بمعلومات كانت من نتائج العصور المتأخرة ... وعليه فأن محمد عبده يرى ان اصلاح التعليم وبرامجه يعتبر من الوسائل الكفيلة لإنقاذ الشعب المصري والافغاني يريد عكس عبده في نهضة كاملة شاملة تمسك الجانب السياسي والتربوي معاً لِتعم الاقطار الاسلامية .

ونستنتج مما سبق إن العلم وحده لا يكفي ، وفكرة الافغاني بإصلاح شامل هي ابعد نظراً خاصة اذا نظرنا اليوم الى اغلب الدول الاخر بقية والاسيوية ما زالت بحاجة الى الوسائل الضرورية للعيش قبل حاجتها الى العلم والفلسفة ففكرة عبد الحميد بن باديس في نهضته العلمية والسياسية في الجزائر كانت على نهج افكار الافغاني بالأساس ومعها طيف من طريقة الاصلاح عند عبده .

المطلب الاول: منهجية الأصلاح عند جمال الدين الافغاني

كانت فلسفة الافغاني يعوزها التكامل والترابط لانه لم يكن يهتم بمسائل التصنيف والتأليف بينما كان الشيخ عبدة يهتم بمحاورة العقول وتهذيب النفوس ولم يترك لنا الافغاني سوى كتابين: (تاريخ الافغان، ورسالة الرد على الدهريين) وبعض المقالات لكنه كان باحثاً للثورات السياسية في مصر وايران وتركيا والهند وكان له مقصدان في أصلاحه الاول: الثقافي والتربوي، والثاني: سياسي واجتماعي . وهو الذي طغى على أسلوبه لأنه كان متيقناً بان اصل المرض هو الاستعمار بكل اشكاله فطغى على مزاجه الثورة السياسية حيث كان يرى فيها اسرع الطرق للإصلاح والنهوض بالدول الاسلامية من ضعفها فيعود للإسلام شأنه العزيز الذي فُقد .

ان الافغاني لم يكن عدواً للحضارة الغربية ، وتقدمهم العلمي يرجع الى تحررهم من عقلية العصور الوسطى ومن رجال الكهنوت ، ويرى ان تعاليم الاسلام تنسجم مع مقتضيات الرفاهية والتقدم ، منهجه الفلسفي يطلب الاجتهاد والرجوع الى العقل اضافة الى الكتاب السنة.

المطلب الثاني: منهجية الأصلاح عند الشيخ محمد عبده

كان هدفه سد الثغرة القائمة في المجتمع الاسلامي لتقويته من الناحية الاخلاقية ورأى ان له طريقاً وحيداً وهو عدم الرجوع الى الماضي بما فيه من جمود وبدع وخرافات ، وينبغي في نظره ربط التقدم العلمي بمبادئ الاسلام لأنه هو المبدأ الصالح للتعبير ، وأنه ينطوي على بذور عقلية

وقوانين اخلاقية تجعله صالحاً لان يكون اساساً للحياة الحديثة ، ففي الجانب الديني والفلسفي يرى الشيخ نجاح الاصلاح في احياء العاطفة الدينية وعلو ثقة المسلم بدينه في تقويم شؤونه ، ويرى ايضاً انه ينبغي ان لا تمزج الفلسفة والعلوم الدنيوية بالمسائل الدينية ، ففي ميدان الدين حدود لا يمكن ان يتخطاها العقل ويبدو ان التعصب الديني والمذهبي قاما بدور كبير في خنق روح الاستقلال في البحث [٢٠]

اما من الجانب الاجتماعي في الاصلاح فكان ينتقد كثيراً من العيوب الاجتماعية المصرية مع ابراز معاني الروح الجماعية والاهتمام بالجانب التربوي : " فالأمة ذات البسطة في الافكار والمهارة في المعارف هي أقوى سلطاناً، واقوم سياسة، وهي الغالية على ما سواها من الامم "[٢١] .

وتطرق ايضاً الى الزواج كظاهرة اجتماعية فرأى ان تعدد الزوجات مضرة اجتماعية، والزواج نفسه عامل من عوامل السعي الجدي في الحياة وضرب من ضروب التنظيم في حياة الاثنين بحيث ان احدهما يُكمل الاخر، اما الزواج بأكثر من واحدة فيرى ان الناس غنيهم و فقيرهم في المجتمع المصري، قد اتخذوا طريقاً لصرف الشهوة وغفلوا عن القصد الحقيقي منه : " لانشك في ان سلوك طريق الاستقامة اهدى واقوم وأفيد، اما تلك الطرق العتيقة فهي قريبة العطب شديدة الخطر لا نرى لمرتكبيها نجاة " [٢٢]

أما في الجانب السياسي من الاصلاح فنجده في شبابه كان مندفعاً وراد التيار السياسي متأثراً بأستاذه الافغاني وليس بفطرته بل التربية والتعليم كانا الوحيدين لبلوغ اهدافه الاصلاحية .

وأن كانا ابطأ أثراً لكنهما اكثر هدوءاً وضماناً لبلوغ الغاية . لقد كان عبده مقتنعاً ان السياس ما دخلت شيئاً الا افسدته وان العقائد الدينية عبر القرون حين دخلت فيها الاهواء السياسية افسدتها فأورثت المسلمين الشقاق والخلاف ، ثم ان جمهرة البلاد الاسلامية لم يحكمها إلا ظلمة ومستبدين ، فمحاولة تأييد سياسة معينة عن طريق الدين او العلم تكون عاقبتها شراً على الطرفين ومن الخير للمصلح (المخلص) ان يستغل لمطالب الاصلاح بعض الاستعدادات الطيبة عند اصحاب السلطان[٢٣] .

النهضة عن طريق الوعي

الافغاني يرى ان الاصلاح الديني يتطلب جهداً من الحكام : " وأن ما نراه اليوم فينا من ظاهرة حسنة من حيث الرقي والتقدم هو عين التقهقر والانحطاط ، لأننا مقلدون لإوربا معجبون بهم مستكينون لهم وراضون بسلطانهم علينا ، وبذلك تتحول صيغة الاسلام التي من شأنها رفع راية السلطة والغلب الى صيغة خمول واستئناس للحكم الاجنبي " (٢٤)

الافغاني هنا يركز على الجانب السياسي من اجل النهوض بالعمل الديني واكد الشيخان ان الدين اساس لكل اصلاح بشرط ان يكون بريئاً من كل البدعْ ... إن الافغاني هو حقاً رائد النهضة والتجديد في العالم الاسلامي حيث قال : " خُلقتُ لكي أكون معلماً " .

الخاتمة:

إن تفكير جمال الدين الافغاني أنطلق كما أنطلق تفكير محمد عبده من قضية انحطاط العالم الاسلامي وحاجاته الى بعث ذاتي، وقد كان يعلم ان سبب ضعف الدول الاسلامية هو الجهل والفقر والتخلف والتسلط الاستعماري، وان على الشرق تعلم فنون وعلوم اوربا المفيدة لا عن طريق التقليد الاعمى بل بالاجتهاد، وكان يعتقد الافغاني ايضاً ان انتصارات أوربا إنما تحققت بفضل عنايتها بالمعرفة وتطبيقاتها الدقيقة، وإن داء الشرق يكمن في العدو المثلث وهو الجهل والفقر واستبداد الملوك ، كان يرى ان النصر مقرون بسير الاصلاح السياسي مع الديني، بينما يرى محمد عبده عكس ذلك وان العقل البشري له حدود لا يمكن تجاوزها، بينما الافغاني مجد العقل بزرع الثقة في النفوس وبان ما يراه العقل مستحيلاً بجموده سيكون حقيقياً بعد اطلاق سراحه .

وخلاصة القول ان الافغاني كان صاحب نزعة ثورية بينما محمد عبده كان مصلحاً وان الفكر الافغاني يتسم بطابع فلسفي عميق وانه حقاً مفكر بارز وبارع بينما محمد عبده يتحرك في اطار ديني وامة معينة، الافغاني له خبرة في السياسة الدولية وعادات الامم، بينما محمد عبده عالم في مجال الدين الاسلامي، وفي نظرنا يبدو ان الاصلاح لا يتم الا بالمزج بين الجانب الروحي والمادي وبين العلم والضمير، واما مستقبل العالم الاسلامي فهو في رأينا متعلق بالتوفيق بين الاصيل والجديد بدون افراط ولا تفريط .

إن روح الاصلاح قد سارت في القرن التاسع عشر وتغلغلت في نفوس ابناء العالم الاسلامي وبدأ النصر مع دعاة الاصلاح من امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في اغلب الاقطار الاسلامية ويبدو من خلال التجربة الجزائرية ان النصر لا يكتمل إلا اذا سار الاصلاح السياسي جنباً الى جنب مع الاصلاح الديني والعلمي، بالعودة الى الدين الصحيح المجرد من عناصر الشرك ومن عقيدة التواكل، وبهذا المفهوم فقط يصبح الاصلاح السياسي متمماً للإصلاح الديني والاجتماعي ... لقد خيل الى الشيخ محمد عبده ان الاصلاح الاجتماعي لا يتم الا عن طريق خلق المدارس بكثرة في كل انحاء العالم الاسلامي والعربي . وبهذه الطريقة تتقدم الشعوب بتقدمها العلمـي .

أما السيد جمال فكان يرى أن العلم لا يكفي بدون الاصلاح في كل الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان رأي عبده هو اقتباس العناصر الجيدة من الحضارة الاوربية فيبدو ان الشيخ عبده كان اطول نفساً في السعي الى الاصلاح من الافغاني لكون الاصلاح عنده بمعزل عن الاصلاح السياسي، نعم ان النهوض بالجانب التربوي شيء ضروري في حد ذاته، ولكن اتساءل هل يمكن اعطاء طعام جيد ولذيذ لأنسان مريض لا يلائم طبعه، فيزيد الى عِلّتِهِ عِلّة ؟ وهل يمكن اعطاء الاسبقية للتربية والتعليم في وقت كانت البطون خاوية والاقدام حافية ؟ وهل يمكن لمصلح مثل عبده عبده ان يتحدث في عصره عن نظريات فلسفية لـ(كانت وديكارت وداروِن في النشوء والارتقاء او عن نظريات (بيداغوجية) خيالية تجاوزها الدهر مثل نظريات (روسو) في التربية والتي تركز على الجانب النظري اكثر من العملي، ومجمل القول ان الشيخين قد اتفقوا على ضرورة الاصلاح لكن باختلاف الطرق والوسائل فالأفغاني كان يطالب بالثورة ضد الاستبداد السياسي والروحي وأستخدام العنف إن أمكن.

أما الشيخ محمد عبده فقد اكتفى بالتعليم ومحاربة البدع والخرافات والعودة الى الاسلام بمفهومه الصحيح دون اللجوء الى المنافسة السياسية والتي لا تأتي إلا بالعنف والخراب والتأخير عن نيل سُبل التقدم والرقـي .

الهوامش:

١. سورة هود الاية (٨٨)

a. الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني تحقيق محمد غمارة ....ص ١٠٢.
b. جمال الدين الافغاني ، مصدر سابق ، ص ٢٠٨ .
c. المصدر نفسه .
٢. رسالة التوحيد- دار الفكر بيروت- ص٢٠ – محمد عبدة.
٣. نفس المصدر ، ص-٧٥
٤. رشيد رضا- تاريخ محمد عبده – ج٢-٣٢٤-المنار-القاهرة-١٩٠٨
٥. الامام محمد عبده – عبقري الاصلاح والتعليم-مكتبة مصر – الفجالة-سلسلة اعلام العرب – ص٢٤٠
٦. جمال الدين الافغاني ، تحقيق محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني، ص ×١٠ .
٧. نديم الجسر، قصة الايمان بين الفلسفة والقران ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٣، ٥٩.
٨. محمد عيدة ، رسالة التوحيد ، ص٤٨ .
٩. الاعمال الكاملة لجمال الدين ، ص ١٠ محمد عمارة .
١٠. نفس المصدر السابق .
١١. محمد عبده، جمال الدين الافغاني، مجلة الهلال، بيروت ، دار الهلال، رقم ٢٧٤، اكتوبر ١٩٧٣: ص١٢.
١٢. محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبدة، جـ١، مطبعة المنار، مصر ١٩٣١، ص٩٩٢.
١٣. محمد اقبال .
١٤. احمد امين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ص١٢٢...
١٥. لويس غردية ، فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ترجمة د.صبحي صالح دار العلم ،بيروت ١٩٦٧، ج١،ص١٥٤.
a. محمد عمارة، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، ص١٧.
١٦.طاهر الطناحي ، المسلموت والاسلام ، مجله الهلال ، لبنان بيروت ، ديسمبر ١٩٦٣م ،ص١٧عدد ١٥٣سلسلة شهرية ثقافية.
١٧.عثمان امين، محاولات فلسفية ،ص٣٣ .
١٨. محمد رشيد رضا / تاريخ الامام محمد عبده / ج١ / ص ٨٩٢ .
١٩. محمد رشيد رضا / تاريخ الامام محمد عبده / ج١ ، ص ٨٩٧ .
a. راجع تشارلز ادامس ، الاسلام والتجديد في مصر ، تعريب عباس محمود ، ص ١١٥ .
b. محمد رشيد رضا ، تاريخ الامام محمد عبده ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
٢٠.محمد رشيد رضا ، تاريخ الامام محمد عبده ، ، ج٢ ، ص ١٠٢ .
٢١.عثمان امين ، محاولات فلسفية ، ص ٢٢٩ .
٢٢. الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، ص ٣٢٧ .

المصادر والمراجع:

١. الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني تحقيق محمد غمارة .

٢. جمال الدين الافغاني ، تحقيق محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني،. الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني تحقيق محمد غمارة .

٣. محمد عبده، جمال الدين الافغاني، مجلة الهلال، بيروت ، دار الهلال، رقم ٢٧٤، اكتوبر ١٩٧٣.

٤. نديم الجسر، قصة الايمان بين الفلسفة والقران ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٣.

٥. محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبدة، جـ١، مطبعة المنار، مصر ١٩٣١.

٦. احمد امين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث.

٧. لويس غردية ، فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ترجمة د.صبحي صالح دار العلم ،بيروت ١٩٦٧، ج١.

٨. طاهر الطناحي ، المسلموت والاسلام ، مجله الهلال ، لبنان بيروت ، ديسمبر ١٩٦٣م ،عدد ١٥٣سلسلة شهرية ثقافية.

٩. عثمان امين، محاولات فلسفية .

١٠. محمد رشيد رضا / تاريخ الامام محمد عبده / ج١ .

١١. راجع تشارلز ادامس ، الاسلام والتجديد في مصر ، تعريب عباس محمود.

١٢. محمد رشيد رضا / تاريخ الامام محمد عبده / ج١.

١٣. تذكرة دعاة الاسلام، ابو الاعلى المودودي.

١٤. تجديد الفكر الديني في الاسلام، محمد أقبال، القاهرة مطبعة الجنة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥.